اعترف أحسن لك

الضمير هو نور الذكاء لتمييز الخير من الشر
كونفوشيوس

دعوني أوطىء لهذه الفكرة بتقديم عدة مفاهم ستؤهلنا للولوج فيما نريد .

فالضمير ليس مادة ملموسة ؛ بل نشعر أثره ؛ الضمير عند مدرسة التحليل النفس (فريد) هو تلك الأنا العليا ؛ هو العقيدة والأسس والمبادىء التي تقف أما الهي في تحقيق رغباتها الملحة ؛ وهنا يبدأ الصراع ؛ ويصدر الفرد سلوكا حسب ما مر به من خبرات وعادات ما رسخ في نفسه من قيم .

يوما وقف شخص يطرق بمطرقة القضاة ليسمع أقوالي ، كنت أعرف ذلك الشخص جيدا ، أحفظ تفاصيل ملامحه ، كان شديد الطبع قاسي القسمات ، يصرخ بي ويقول : اعترف أحسن لك ! لا أريد أن أتفوه بكلمه ، أريد أن أصمت ولا أحد يعرف ما بداخلي نفسي عزيزة عندي حتى أجعلها تتعرى وتظهر ما تخفيه ! أريد أن أختبىء في كومة من الآكاذيب تسترني وتجمل من منظري .

وبعد كثير من المماطلات، أبيت أن أدلي بما عندي وأنكرت كل التهم الموجهه لي بكل قوة حتى كدت أن أصدق نفسي من شدة اتقاني لدور البرىء لكن هذا القاضي القاسي لم يتركني أذهب لحال سبيلي ؛فكان محنك وكأنه يعرف حقيقة الأمر أو رأه بعينه ظللت أرواغه حتى يتوه وسط كلماتي الزائغة ! لم ينخدع بكل أكاذيبي ولم يكن تماسكي وقوة بياني قادرة من أن تنل من عقله الواعي المقتد . وواجهني شر المواجهة، ووعدني إذا أدليت بكل ما

بـداخلي ، سأشـعر براحـة عجيبـة ويحـل بـي شـفاء لا مثيـل لـه . أيضـا نعتنـي بـأنني ضعيف مهزوز ، لا أقوى على المواجهة ، تلك هي سمات الضعفاء

أردت فجـأة أن أقـول كـل شـئ وأعتـرف ، تسـارعت الكلمـات علـى شـفتي ، تريـد أن تنجـرف إلـى الخـارج ، لـم تعـد تطيـق المحـبس الـذي ألزمتهـا بـه . تلعثمـت قلـيلاً ثـم قلـت : بمـاذا يفيـد الاعتـراف ؟! تبسـم القاضـي ابتسـامة فيهـا دهـاء ؛ فلقـد تـيقن ببدايـة نجـاح مهمتـه و بشـائر تـدل علـى خـور إصـراري ؛ فبـات صـامتاً إلـى حـين يريـدني ، أعـرف أنـه يريـدني فاقـدا للسـيطرة والتـوازن ، أرتمـي تحـت قدميـه معترفـاً ، لكننـي تمسـكت برباطـة جأشـي . وبلعـت ريقـي بصـعوبة ؛ فـلا أريـد أن أكـون مكشـوفاً بهـذه السـذاجة . ثـم خـرج عـن صـمته وقـال : لكـي ترتـاح يـــــــــا بنـــــــــي ...لكـــــــــي ترتـــــــــاح . نظـر فـي عينـي بقـوة واسـتطرد قـائلا : كـن شـجاعاً ، واجهنـي ، فلقـد رأيتـك بعينـي ، وأعـــــــــــــرف كـــــــــــــل شـــــــــــــئ .

تبعثـرت نظراتـي فـي كـل الأرجـاء ، أريـد أن أهـرب مـن عينيـه ، فهـل أنـا واضـح لهـذا الحـد ؟ ! أم انـه يتلاعـب بمشـاعري ويهـز ثقتـي لينـال منـي ؟ : " أنـا غرضـي مصـلحتك أنـت ! " قالهـا بثبـات ونبـرة ود ، أخـذني كلامـه فجـأة ؛ فقلـت لـه " لا أفهـم " . اسـتجمعت شـجاعتي وطلبـت منـه أن يشـجعني أكثـر ويسـهل علـي مهمـة الاعتـراف ، هـل مـن مزيـد مـن الوعـود بالراحـة ؟ هـل هنـاك فوائـد تغمرنـي ؟ هـل سـأقدر أن أنسـى مـا جـرى ؟ لـم أكـن أتكلـم ولكـن نظراتـي كانـــت تفعـــل هـــذا بـــدلاً منـــي ، أجـــدت فـــي توصـــيل مـــا أريـــد .

لـم أجـد منـه مـا أنتظـر ، فلـم يـتكلم ، لسـت أعلـم هـل عـن ملـل أم يـئس أو طريقـة

جديدة لاستجوابي ، لكنني قررت حينها أن أخرج كل ما بطيات قلبي .

واجهته بكل أخطائي الماضية وجروحي ، اعترفت بأنني جرحت وخدعت من أشخاص أعزاء . صدمت من غدر أصدقاء لي . تصرفت بغير حكمة في كثير من المواقف . تسرعت في ردودي وكلامي وانساقت الي الغضب بمحض إرادتي وخسرت الكثير نتيجة لذلك . أحببت ،كرهت ، أخطأت . فأنا أنسان يا حضرة القاضي ، أنسان . لابد أن أقع في أشراك الغضب والاكتئاب والخديعة . يجب ان أكتوي بنار الحب وهمومه ومآسيه . لا مفر من أن الجرح الذي يدمي فؤادي . أرتعب من مخاوفي الكثيرة ، تترسب بداخلي مواقف لا أقوى على نسايها ولا أطيق نار تذكرها . لا أقدر أن أوجه كل ذلك . سامحني لا أقدر .

بكيت ولكن بعد البكاء شعرت براحة فعلية تسري في قلبي ، فلقد أخرجت كل ما كان يملأ صدري . وسمعت القاضي يطيب خاطري بكلمة أسعدتني جداً : أنت شجاع وستنجح !

نظرت له بكل أسى وحيرة : كيف سأنجح ؟ فقال لي : أنت واجهت خوفك ، أخطائك ، جروحك ممن أذوك . أعترفت أنك خدعت ومررت بأشياء مريرة ، وذلك أول طريق النجاح والشفاء في حياتك . أنت الان قادر على مواجهة القادم . أنت تعرف حقيقة مشاعرك وستعرف أن تستفيد مما سبق بكل حنكة . لا يقوى الكثيرون

علــى ذلــك يــا بنــي **!** فالكــل ينكــر لأنــه يعتقــد أن جروحــه ســتحرجه أمــا م الآخــرين . لا يريــدون الشــفاء الحقيقــي . أذا كنــت تريــد النجــاة فقــط اعتــــــــــــــــــرف أحســــــــــــــــن لــــــــــــــــك **!**

إبتســمت و غمرتنــي الســعادة فلــيس أنــا بمــذنب أو بمتعــري ، أنــا بطــل ، ولكن عدت أسأل من أنت أيها القاضي وكيف رأيت أنت ما فعلته انا ؟ فقــال فــي خــيلاء : انــا ضــميرك ، أنــا نفســك . كــان يجــب أن تواجــه نفســك يــــا بنــــي لكــــي تكــــون شــــجاعاً وأنــــت هكــــذا **!**